

The True Religion of God

دين الله الحق

تأليف: أبو أمينة بلال فيليبس

ترجمة: محمد عبد العظيم على

www.islamic-invitation.com

أى الأديان هو دين الله الحق ؟

يولد كل فرد فى ظروف معينة لا يكون من اختياره فيها شىء ... فدين أسرته أو أيديولوجية دولته تدفعانه و تضغطان عليه منذ بداية وجوده فى هذه الحياة و بمرور الزمن و قبل بلوغه رشده يكون عادة مغسول المخ تماماً بحيث يوقن بأن عقائد دائرة مجتمعه الضيقة هى أصدق و أصح عقائد يمكن لأحد أن يعتنقها.

و مع ذلك فبعد بلوغ بعض الناس رشدهم، و عندما يواجهون نظاماً عقائدية أخرى، ينطلقون يتساءلون عن مدى صحة ذات عقائدهم .

و فى الغالب يصل الباحثون عن الحق إلى قدر من الإلتباس يتبين لهم فيه أن كل دين و أى دين، أو مذهب، أو أيديولوجية، أو فلسفة تزعم و تؤكد أنها وحدها الطريق الوحيد و الصحيح لهداية الانسانية.

و المؤكد أن كلاً من هذه الاتجاهات تنطوى على بعض النقاط الصالحة و المعقولة، و كلها تشجع الناس على الإقبال على عمل الخير . و بناء على ذلك نسأل أيها على حق ؟ إذ لا يمكن أن تكون كلها صحيحة طالما أن كلا منها تزعم أن كل ما عاداها غير صحيح .

فكيف إذن للباحث عن الحقيقة أن يهتدى إلى الطريق المستقيم الحق ؟

لقد وهبنا الله جميعاً عقولاً و مدارك لكى تمكننا من اتخاذ القرار الحاسم . ذلك القرار الأكثر أهمية فى حياة الكائن البشرى .. لأن مستقبله يتوقف عليه و بالتالى يجب على كل منا و على أى منا أن يفحص و يمعن النظر – متجرداً من الهوى – فى الدلائل و البيئات التى تعرض عليه، و أن يختار ما يبدو له أنه الحق إلى أن تظهر له دلائل أخرى مغايرة.

و كما تقرر كل ديانة أخرى أو فلسفة، فإن الإسلام يعلن أيضاً أنه طريق الحق و الوحيد إلى الله تعالى و هكذا لا يختلف هذا عن غيره من النظم.

و هذا الكتيب يهدف إلى تقديم عدد من الأدلة على صحة و أحقية هذا الاعلان من جانب الإسلام .. إلا أنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار دائماً أن لا أحد يستطيع أن يحدد العقيدة الحق إلا بعد أن يستبعد العواطف و الأحكام المسبقة التي غالباً ما تعمى الأبصار و تحولها عن الحقيقة .. و عندئذ - و عندئذ فقط - سوف نستطيع استخدام و الاستفادة من هبة الله تعالى لنا من عقول و مدارك .. و من ثم اتخاذ قرار صحيح و عقلاني في هذا الشأن.

و هناك العديد من الحجج و البراهين التي تؤيد أن الإسلام هو دين الله الحق .. و فيما يلي نطرح فقط ثلاثاً من أكثر هذه الحجج وضوحاً و دلالة . فالحجة الأولى تتأسس على ربانية الإسم الأصلي لهذا الدين مع اتساع مساحة فهم و ادراك معنى هذا الاسم .. و الحجة الثانية تتعلق بتعاليم الاسلام بشأن العلاقة بين الله و الانسان و الخلق و التي تتسم بالتفرد و عدم التعقيد .. و الحجة الثالثة تُستمد من الحقيقة أن الإسلام يسهل عالمياً فهمه و ادراكه من جانب كافة الناس و في كل الأزمان.

تلك المكونات الثلاثة الأساسية هي بمثابة تركيبة بما يتطلبه كل منطق و كل عقل من ضرورة توافرها في الدين الذي يمكن اعتباره دين الله الحق . و في الصفحات التالية سوف نتناول بالدراسة هذه المفاهيم الثلاثة بشيء من التفصيل

إسم هذا الدين

أول شيء ينبغى على كل إنسان أن يعرفه جيداً و أن يفهمه بوضوح كامل عن الإسلام هو معنى كلمة "الإسلام" في حد ذاتها .. فالمعنى العربي لكلمة "إسلام" هو خضوع أو استسلام إرادة الإنسان لله الحق وحده .. المعروف في اللغة العربية باسم "الله" . أما الشخص الذي تخضع إرادته لله فيُسمى "مسلم".

و دين الإسلام لا يرتبط اسمه بشخص معين و لا بشيء ذاته، و لا هو يرجع إلى قرار صادر من

أجيال الناس المتأخرة . كما هو الشأن في ديانة " المسيحية " Christianity التي أطلق اسمها عليها بعد عهد عيسى عليه السلام بزمان، و كالبوذية بعد "جوتاما بوذا " و كالكونفوشيوسية بعد " كونفوشيوس " , و كالماركسية بعد " كارل ماركس " , و كاليهودية Judaism بعد قبيلة يهوذا "Judah"، كالهندوسية بعد " هندوس " .

بينما الإسلام (الخضوع لارادة الله) هو إسم دين آدم – أول الناس و أول نبي لله – كما كان إسم دين كافة الأنبياء المرسلين من قِبَل الله إلى البشرية . و فيما بعد كان الإسلام هو الإسم الذى اختاره الله بنفسه و أثبتته بوضوح فى خاتم كتاب منزل بالوحى من قِبَل الله إلى الناس . إذ يقول الله تعالى : ﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ (سورة المائدة : ٣)

﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ﴾ (سورة آل عمران : ٨٥) .

من هنا فإن الإسلام لا يدعى أنه دين جديد أتى به النبي محمد صلى الله عليه و سلم إلى الجزيرة العربية فى القرن السادس الميلادى. و إنما الأصح أنه إعادة التعبير فى شكله النهائى عن الدين الحق لله تعالى الذى سبق أن نزل به الوحى قديماً إلى آدم و إلى النبيين من بعده. و إنطلاقاً من هذه النقطة ، نستطيع أن نقدم تعليقاً مختصراً عن ديانتين تزعم كل منهما أنها طريق الهداية الصحيح .. فإنك لا تجد أى موضع من الكتاب المقدس أن الله أوحى إلى شعب موسى عليه السلام ، أو إلى سلالته أن دينهم يسمى " اليهودية Judaism و لا أوحى إلى أتباع عيسى عليه السلام أن دينهم اسمه المسيحية Christianity . و بمعنى آخر فإن اسمى " اليهودية و المسيحية " ليس لهما أصل ربانى و لا أى توثيق لهما .. فبعد زمن من صعود عيسى عليه السلام أطلق اسم المسيحية على هذا الدين الذى جاء به.

فماذا إذن تميزت ديانة عيسى فى واقع الحال عن اسمها ؟ (١) لقد انعكس هذا الدين على تعاليمه التى تحت أتباعه على قبول المبادئ الإسترشادية فى علاقتهم بالله .

أما في الإسلام فإن عيسى نبي مرسل من قِبَل الله و إسمه بالعربية "عيسى" و شأنه شأن الرسل الذين سبقوه، كان يدعو الناس إلى استسلام لإرادة الله (و هو نفس ما يدعو إليه الإسلام).

فمثلاً جاء العهد الجديد بأن عيسى عليه السلام كان يُعَلِّم أتباعه أن يدعوا الله كالآتي :
((أبانا الذى فى السماوات . ليتقدس اسمك . ليأت ملكوتك . لتكن مشيئتك كما فى السماء كذلك فى الأرض)) (لوقا ١١: ٢ – متى ٦ : ٩-١٠)

هذا المعنى عُنَى عيسى عليه السلام أن يبرزه فى عديد من تصريحاته المثبتة فى الأناجيل . فقد قال مثلاً إن الذين يستسلمون هم وحدهم الذين سوف يرثون الفردوس، ((ليس كل من يقول لى يا رب يارب يدخل ملكوت السماوات، بل الذى يفعل إرادة أبى الذى فى السماوات)) (متى ٢١: ٧).

و أشار عيسى أيضاً إلى أنه هو نفسه قد إستسلم لإرادة الله : ((أنا لا أقدر أن أفعل من نفسى شيئاً . كما أسمع أدين و دينونتى عادلة لأنى لا أطلب مشيئتى بل مشيئة الآب الذى أرسلنى)) (يوحنا ٥: ٣٠)

و هناك فى الأناجيل عديد من تقارير المسيح التى أوضح فيها لأتباعه بجلاء تام، أنه ليس هو الرب الحق الوحيد . فمثلاً عندما تحدث عن اليوم الآخر قال : ((و أما ذلك اليوم و تلك الساعة فلا يعلم بهما أحد و لا الملائكة الذين فى السماء و لا الابن و لا الآب)) (مرقس ١٣: ٣٢)

و بناء عليه، فإن عيسى عليه السلام – شأنه شأن الأنبياء من قبله، و النبى الذى جاء من بعده – كان يعلم دين الإسلام بمعنى الإستسلام لإرادة الله الواحد الحق.

الله و الخلق

بما أن استسلام كل إرادة الإنسان لله تعالى تمثل جوهر العبادة، و هو أساس رسالة دين الله الحق .. فإن الإسلام هو عبادة الله الواحد الأحد مما يتطلب اجتناب العبادة التي توجه لأي شخص أو أى مكان أو أى شىء غير الله تعالى.. و حيث أن كل شىء غير الله تعالى - الخالق لكل شىء- هو مخلوق لله فإنه يمكن أن نقول أن الإسلام - فى جوهره - ينهى الناس عن عبادة المخلوقات جميعاً .. و يدعوهم إلى إفراد العبادة لله خالقهم .. لأن الله الواحد الأحد هو الجدير بعبادة الإنسان .. و لأن العبادات لا تقبل إلا بإرادة الله تعالى وحدها.

و بالتالى إذا دعا إنسان شجرة و أستجيب دعاؤه، فليست الشجرة هى التي استجابت لدعائه و إنما هو الله تعالى الذي هياً الظروف التي كانت موضع الدعاء لأن يتحقق. و قد يقول قائل " هذا واضح" و مع ذلك فقد لا يكون الحال كذلك لعباد الشجرة ..

و على هذا المنوال .. فإن العبادة التي توجه إلى عيسى عليه السلام، أو إلى بوذا، أو إلى كريشنا، أو إلى القديس كريستوفر، أو إلى القديس يهوذا تداوس Jude أو حتى إلى محمد صلى الله عليه و سلم، لا يستجاب لها منهم .. و إنما الإستجابة تكون من الله تعالى، و لم يطلب عيسى عليه السلام من أتباعه أن يعبدوا شخصه هو و إنما أمرهم أن يعبدوا الله كما يقول القرآن.

﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يُعِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ أَأَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَهَيْنِ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقِّ إِنْ كُنْتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ، مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ﴾ (المائدة ١١٦-١١٧)

و لا قام عيسى عليه السلام بعبادة نفسه، بل الأصح أنه عبد الله تعالى .. إذ قال عيسى عليه السلام فى الأناجيل :

((إنه مكتوب : للرب إلهك تسجد و إياه وحده تعبد)) (لوقا ٤: ٨)

و لقد ورد هذا المبدأ الأساسى فى سورة الفاتحة فى القرآن الكريم آية ٥ : ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ

و فى موضع آخر من آخر كتاب جاء به الوحى نقرأ : ﴿وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾
(غافر ٦٠)

من الجدير بالتأكيد أن الرسالة الأساسية للإسلام (ألا و هى عبادة الله الواحد الأحد وحده)
تعلن أيضاً أن الله و خلقه كينونتان مختلفتان تمام الاختلاف . فالله تعالى لا يتساوى بخلقه و لا
بشئ من خلقه .. كما أن خلقه لا يتساوى معه تعالى و لا بشئ منه.
هذا يجب أن يكون واضحاً تماماً .. غير أن عبادة الإنسان لبعض الخلق بدلاً من الخالق ترجع
بقدر كبير إلى الجهل أو اهمال تلك الفكرة .. إذ أن هناك عقيدة تزعم أن جوهر الله تعالى
موجود فى كل مكان من خلقه، أو أن ذاته الإلهية موجودة أو كانت موجودة فى بعض أجزاء
خلقه .. مما قدم مبرراً لعبادة خلق الله .. و تسميتها خطأً عبادة لله . و مع ذلك فإن رسالة
الإسلام كما جاء بها أنبياء الله تقضى بعبادة الله وحده، و بتجنب عبادة خلقه صراحة أو ضمناً
.

و يقول القرآن الكريم بوضوح :

﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ (النحل ٣٦)

و عندما يوجه السؤال إلى عبّاد الأوثان : لماذا يسجدون للأصنام التى هى من صنع الناس، فإن
إجابتهم التى لا تتغير تكون أنهم لا يعبدون فى حقيقة الأمر جسم الحجر، و إنما يعبدون الله
الحاضر فيه .. و يدعون هكذا أن حجر الصنم لا يعدو أن يكون نقطة تركيز لجوهر الله .. و
ليس هو الله بذاته .

و الذى يتقبل فكرة أن الله يمكن أن يكون حاضراً بطريقة أو بأخرى خلال خلقه، سوف يضطر
إلى التسليم بمنطق عبادة الأوثان، بينما الذى يفهم رسالة الإسلام الأساسية و مقتضايتها لن
يتقبل الوثنية مهما يكن منطقها .

أما الذين ادّعوا الألوهية لأنفسهم عبر التاريخ، فقد كانوا في الغالب قد أسسوا ادعاءهم على الفكرة الباطلة بأن الله موجود في الانسان . و بخطوة أخرى يدعون أن حضور الله فيهم أكثر من حضوره في باقي الناس . و بالتالى على غيرهم من الناس الخضوع لهم و عبادتهم كإله مجسد في شخصهم أو كإله مركز في شخصهم و على هذا فإن الذين يقرون بألوهية الغير بعد موته يجدون الأرض خصبة في هؤلاء الذين سلموا بالعقيدة الباطلة بوجود الله في الإنسان .

و من الآن فصاعداً ينبغي أن يكون واضحاً تماماً أن الذى رسخت في ذهنه رسالة الله الجوهرية و مقتضايتها لا يتقبل أبداً عبادة كائن إنسانى تحت أى ظرف .. إذ أن دين الله الحق في جوهره ما هو إلا دعوة إلى عبادة الله الخالق و رفض عبادة الخلق على أى شكل تكون .. و هذا هو معنى شعار الإسلام : " لا إله إلا الله " .

ما تتضمنه هذه الشهادة من إقرار صادق .. و القبول التلقائى للنبوة ينقل الإنسان إلى رحاب الإسلام .. و إلى الإيمان الراسخ بضمان دخول الجنة .

و لهذا يقول النبى الخاتم صلى الله عليه و سلم : " مَا مِنْ عَبْدٍ قَالَ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ثُمَّ مَاتَ عَلَى ذَلِكَ إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ " .

و الاعتقاد في هذا " الإقرار الاعتقادى " يقتضى من كل مؤمن و مؤمنة أن يسلم إرادته أو إرادتها إلى الله، كما دعا إلى ذلك أنبياء الله .. و يتطلب منه أيضاً أن يتخلى عن عبادة غير الله (الطاغوت).

رسالة الأديان الباطلة

كم نجد في هذا العالم من طوائف و من عقائد و من ديانات و من فلسفات و من حركات .. كل منها تزعم أنها وحدها العقيدة الصحيحة و الطريق الحق إلى الله ! فكيف يمكن لإنسان أن يحدد أيها الصحيحة .. أو ما إذا كانت كلها صحيحة في واقع الأمر ؟

الطريقة الوحيدة التي يمكن بها التوصل إلى الإجابة هي استبعاد الفروق السطحية في تعاليم المدّعين بأنهم على حق برغم تباينها و أن نكشف الغطاء عن الموضوع الجوهرى للعبادة التي يدعون إليها صراحة أو ضمناً.

و تتمسك الأديان الباطلة كلها بأن لها فكرة أساسية مشتركة تجاه الله تعالى : ألا و هي الادعاء بأن كافة الناس أرباب .. أو أن أشخاصاً بعينهم هم الإله .. أو أن الطبيعة هي الإله .. أو أن الإله شىء مختلف من خيال الإنسان .

هكذا يمكن القول بأن الرسالة الأساسية للدين الباطل هي أن الإله يمكن أن يُعبد في أى شكل من خلقه، إذن الديانة الباطلة تدعو الإنسان إلى عبادة الخلق أو بعض أشكال الخلق هي الإله . فمثلاً النبي عيسى عليه السلام كان يدعو أتباعه لعبادة الله .. بينما الذين يزعمون أنهم أتباع عيسى اليوم يدعون الناس لعبادة عيسى عليه السلام بدعوى أنه الله سبحانه.

و لقد كان بوذا مصلحاً كبيراً أدخل عديداً من المبادئ البشرية في ديانة الهند.. و لم يزعم أنه الإله .. و لا هو اقترح على أتباعه أنه يمكن أن يكون محلاً أو أهلاً للعبادة .. إلا أن اليوم غالبية البوذيين الذين نجدهم خارج الهند اتخذوه إلها و ينبطحون أمام أصنام يعتقدون أنها تشبهه.

و باستخدام مبدأ كشف هوية الشىء موضع العبادة يمكننا بسهولة اكتشاف الأديان الباطلة و معرفة مدى الإحتيال الذى في طبيعة أصلها .. يقول الله تعالى في القرآن : ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءٌ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (يوسف ٤٠)

و قد يقال إن كافة الأديان تدعو إلى فعل الخير، فماذا يهم أى الأديان يمكننا اتباعه ؟ و الرد هو أن كل الأديان الباطلة تدعو إلى أعظم الشرور ألا و هي عبادة الخلق .. التي هي من كبائر الذنوب التي يمكن أن يرتكبها إنسان .. لأنها تتناقض مع الهدف الحقيقى من خلق الانسان، فلقد خُلق الانسان لعبادة ربه الله الواحد الأحد .. كما هو موضح بجلاء في القرآن الكريم :

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ (الذاريات ٥٦)

و بالتالى فإن عبادة الخلق - التى هى جوهر الوثنية - هى وحدها الذنب الذى لا يغتفر .. و الإنسان الذى يموت على حالة الوثنية هذه يكون قد ختم على مصيره فى الآخرة .. و ليس هذا مجرد رأى أياً كان .. إنما هو حقيقة نزل بها الوحي فى كتاب الله : ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ (النساء ١١٦)

عالمية دين الإسلام

لما كانت نتيجة اتباع أى دين باطل بهذه الخطورة .. فإن دين الله الحق يجب أن يكون عالمياً سهل الفهم و سهل الإدراك و سهل الوصول إليه . و كما كان فى الماضى، فيجب أن يستمر دائماً فى سهولة فهمه و ادراكه و الوصول إليه عبر العالم أجمع . و بعبارة أخرى، إن دين الله الحق لا يمكن أن ينحصر فى أى شعب من الشعوب .. أو أى مكان .. أو أى حقبة من الزمان .. و ليس من المنطق أن يفرض هذا الدين شروطاً ليس لها صلة بعلاقة الإنسان بالله مثل المعمودية .. أو الاعتقاد فى إنسان أنه المخلص .. أو أنه وسيط بين الله و الناس .

و تكمن فى المبدأ الجوهرى للإسلام و فى تعريفه (إستسلام لإرادة الله) جذور عالمية . و متى تحقق الإنسان من أن الله هو واحد أحد و أنه متميز عن خلقه و قد إستسلم لله تعالى، فإنه يكون مسلماً فى بدنه و فى روحه، جديراً بأن يدخل الجنة .

و بالتالى فأى شخص فى أى زمان و فى أبعد مناطق العالم - يمكنه أن يكون مسلماً تابعاً لدين الله - ألا و هو الإسلام - بمجرد أن يتخلى عن عبادة الخلق و أن يعود إلى الله الواحد الأحد .

و مع ذلك ينبغى أن نلاحظ أنه من أجل الإستسلام لإرادة الله يجب على الانسان دائماً أن يحسن الإختيار بين الحق و الباطل . إذ لا شك أن الله وهب الإنسان القدرة ليس فقط على التمييز بين الخير و الشر، و إنما أيضاً على إختيار أحدهما و ترك الآخر.

و يترتب على هذه القدرات الموهوبة من الله مسؤولية جسيمة بمعنى أن الإنسان سوف يُسأل أمام الله عن تلك الاختيارات التي قررهما، و بالتالى فعلى الإنسان أن يبذل أقصى جهد لعمل الخير و ترك الشر . و تلك المفاهيم وردت فى القرآن بصريح العبارة :

﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (البقرة ٦٢)

و إذا ما أحققوا -لأى سبب من الأسباب - فى تقبل الرسالة الخاتمة بعد أن تم توضيحها و شرحها لهم، سوف يكونون فى خطر عظيم .

فقد قال خاتم الأنبياء صلى الله عليه و سلم : " وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ " (رواه مسلم)

التعرف إلى الله

السؤال الذى يُثار هنا هو: كيف يمكن للناس أن يؤمنوا بالله الحق مع ما يحملون من مختلف جذور المجتمعات و الثقافات ؟ لكى يتحمل الناس المسؤولية عن عبادة الله الواحد الحق، فإنهم جميعاً فى حاجة إلى فهم بعض المعلومات عن الله تعالى . و تقرر رسالة الوحي الخاتمة أن كافة الكائنات الإنسانية تستطيع أن تتعرف على الله الواحد الحق لأن معرفته مطبوعة فى أرواحهم كجزء من فطرتهم التى فُطروا عليها .

ففى سورة الأعراف فى القرآن (الآيات ١٧٢-١٧٣) أوضح الله تعالى أنه عندما خلق آدم نادى كافة ذرية آدم ليظهروا إلى الوجود، و أخذ منهم عهداً و موثقاً حيث قال لهم : ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى شَهِدْنَا﴾

ثم بين الله تعالى لماذا أشهد كافة بنى آدم بأنه خالفهم و أنه الله الحق الجدير بالعبادة فقال: ﴿أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ﴾ (الأعراف ١٧٢)

بمعنى أننا لا نستطيع فى ذلك اليوم أن نزعـم أننا لم يكن عندنا فكرة أن الله هو ربنا .. و أنه لم يحدثنا أحد أنه كان علينا أن نعبد الله وحده، و يستمر القرآن فى الإيضاح :

﴿أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾

و لهذا فإن كل طفل يولد و معه عقيدة طبيعية بالله و ميل مغروس فيه لعبادة الله و حده، و هذه العقيدة المغروسة و هذا الميل يُطلق عليهما فى اللغة العربية " الفطرة".

يقول النبى محمد صلى الله عليه و سلم فى الحديث القدسى عن الله تعالى : "إني خلقت عبادي حنفاء كلهم، فاجتالتهم الشياطين عن دينهم"

و قال النبى صلى الله عليه و سلم "كل مولود يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه".

و لو تُرك الطفل لحاله لعبد الله تعالى بطريقته الخاصة .. إلا أن كل الأطفال يتأثرون ببيئتهم . و لهذا فبمجرد أن يخضع الطفل لقانون الطبيعة الذى فرضه الله على الطبيعة، تخضع روح هذا الطفل بطبيعتها إلى حقيقة أن الله وحده ربه و خالقه، و لكن إذا حاول أبواه أن يجعلاه يتبع عقيدة مختلفة، فإن الطفل ليس بالقوة الكافية فى المراحل الأولى من حياته – لكى يقاوم أو يعارض إرادة والديه، و فى هذه الحالات يكون الدين الذى يتبعه الطفل هو أحد أديان العرف و التربية و التنشئة ، و الله لا يحاسبه أو يعاقبه عن هذا إلى أن يبلغ مرحلة معينة من حياته.

آيات الله

خلال مراحل حياة الناس من الطفولة إلى الممات، تتبدى لهم آيات الله الواحد الأحد الحق فى كل رحاب الأرض، و فى ذات أرواحهم، حتى يصبح واضحاً تماماً أنه لا يوجد سوى الله الحق الأحد . إذ يقول الله فى القرآن:

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ (فصلت ٥٣)

و فيما يلى مثل من الله كآية كشف بها لرجل بطلان و ثنه المعبود، ففي جنوب شرق منطقة
أدغال الأمازون بالبرازيل بأمريكا الجنوبية، أقامت قبيلة بدائية كوخاً جديداً كبيت للوثن الرئيسى
skwatch الذى يمثل عندهم أعظم إله فى كل الخلق .. و فى اليوم التالى دخل شاب الكوخ
لأداء عبادة الولاء لهذا الوثن و بينما هو فى سجوده لهذا الذى علموه أنه الخالق و المعين .. إذا
بكلب أجرب عجوز يدخل الكوخ، و انتظر الشاب برهة من الزمن ينظر إلى الكلب فإذا به
يرفع رجله الخلفية و يتبول على الصنم .. اشطاط الشاب غضباً و طرد الكلب من المعبد، غير
أنه بعد أن هدأ غضبه، تبين له أن الصنم لا يمكن أن يكون إله العالم .. و استخلص من ذلك
أن الله تعالى ينبغى أن يكون فى كل مكان ، و على ما يبدو من غرابة قصة تبول الكلب على
الوثن، إلا أنها كانت علامة و إشارة و آية من الله لهذا الشاب تتضمن معنى أن تلك العبادة
كانت باطلة، و لقد حررته من عبودية اتباع العبادة التقليدية التى تعلمها للوثن الباطل .. و
نتيجة لذلك فإن هذا الشاب وضع أمامه إختيار إما البحث عن الإله الحق و إما الإستمرار فى
الطريق الخطأ.

و لقد أوضح الله لنا كيف بحث إبراهيم عليه السلام عن الله .. كمثل الكيفية التى يجد بها من
يتبع الآيات طريق الهداية إلى الحق:

﴿ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَيَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ
رَأَى كَوْكَبًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآفِلِينَ (٧٦) فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا
رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَيْسَ لَمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ (٧٧) فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً
قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنَّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ (٧٨) إِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ
لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴾ (الأنعام ٧٥-٧٩)

و كما سبق أن أوضحنا، فإن الأنبياء ما أرسلوا إلى أمة و قبيلة إلا لدعم العقيدة الفطرية
الإنسانية فى الله تعالى، و الميل الفطرى فى الإنسان لعبادته .. فضلاً عن تقوية الحقيقة الإلهية فى

الآيات اليومية الموحاه من الله، و على الرغم من أن كثيراً من تعاليم هؤلاء الرسل قد حُرفت و شُوّهت، فإن الأجزاء التي توضح رسالات الله التي نزل بها الوحي بقيت لم تمس و أفادت و ساعدت في هداية البشرية للاختيار بين الحق و الباطل .

إن تأثير رسالات الله التي نزل بها الوحي عبر العصور يمكن أن نراه في " الوصايا العشر " التي وردت في توراة اليهودية و التي اتبعتها تعاليم المسيحية في وقت لاحق .. فضلاً عن وجود قوانين ضد القتل و السرقة و الزنا في معظم المجتمعات في العالم القديم و الحديث.

و كنتيجة لآيات الله المنزلة للبشرية عبر العصور بالوحي من الله من خلال رسله، فإن أمام البشرية كافة فرصة أعطيت لهم للتعرف على الله الواحد الأحد الحق.

و بالتالى فسوف تحاسب كل نفس عن عقائدها في الله .. و عن مدى قبولها لدين الله الحق، ألا و هو الإسلام، الذى يعنى الإستسلام الكامل لإرادة الله .

الخاتمة

فى العرض السابق أثبتنا أن اسم دين الإسلام يعبر عن مبدأ الإسلام الجوهرى ألا و هو الاستسلام لله .. و أن اسم الإسلام لم يختاره أى إنسان، و إنما اختاره الله تعالى بما يتفق مع كتاب الإسلام العظيم.

و لقد أوضحنا أيضاً أن الإسلام وحده يدعو إلى وحدانية الله و صفاته العليا .. و يأمر و يوجب عبادة الله دون أى وساطة.

و أخيراً و بمقتضى الميل المغروس إلهياً فى الإنسان لعبادة الله .. و بناء على الآيات التي أوحى الله بها لكل فرد من الأفراد عبر العصور، فإن الإسلام يمكن أن يحققه الناس أجمعون فى كل زمن من الأزمنة.

و باختصار: إن معنى اسم الإسلام (الاستسلام لله) و إقرار الإسلام الأساسى بوحداية الله , و

سهولة قبول الإسلام من كافة البشر في كل زمان .. كل هذا يؤيد عن اقتناع دعوى الإسلام – منذ بداية الزمن – و بأية لغة استخدمت، بأنه كان و سوف يكون دين الله الحق. و ختاماً نسأل الله تعالى أن يثبتنا على العقيدة الصحيحة التي هدانا إليها .. و أن يمنحنا بركاته و رحمته لأنه حقاً الرحمن الرحيم . الحمد لله رب العالمين و السلام و البركات على محمد صلى الله عليه و سلم و على كافة أنبياء الله و على أتباعهم المهتدين.

الفهرس

أى الأديان هو دين الله؟

اسم هذا الدين

الله و الخلق

رسالة الأديان الباطلة

عالمية دين الله

التعرف على الله

آيات الله

الخاتمة

(١) فكل من إسم "Jesus" و إسم "Christ" مشتقان من كلمات عبرية من خلال اللغتين من خلال اللغتين اليونانية و اللاتينية . فإسم Jesus هو الشكل الانجليزى و اللاتينى للكلمة اليونانية "Iesous" التى هى فى العبرية (Yehoshua or Yeshua) Joshua

و الكلمة اليونانية Christos هى ترجمة للكلمة العبرية "messiah" التى هى لقب معناه
الممسوح "the anointed".

www.islamic-invitation.com